

توسيع وتضييق المعنى في القرآن الكريم

محمد قوة الاسلام

جامعة الجزيرة، السودان

البريد الإلكتروني: Muhammad.qislami07@gmail.com

المستخلص

تعد دراسة القضايا الدلالية في اللغة من الدراسات اللغوية الحديثة، فقد نشأت الدراسات اللغوية عند العرب متصلة بالقرآن الكريم إلى عصرنا الحاضر، وكان المحور الذي دارت عليه الدراسات دلالة ألفاظ القرآن الكريم خاصة في تعدد و تغيير معانيها. كما أن موضوع الدلالة من الموضوعات المهمة. هدفت الدراسة إلى التعرف على التطور الدلالي في ألفاظ القرآن الكريم على ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، و معرفة آراء اللغويين والمفسرين قديما وحديثا في مظاهر التطور الدلالي خاصة في تضييق وتوسيع الدلالة التي وردت في ألفاظ القرآن الكريم، و معرفة عن الظواهر اللغوية و عواملها. واتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. توصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها: وقد وضح العلماء قديما وحديثا ألفاظا في القرآن الكريم التي تشير إلى معنى أكبر مما كان لها في السابق، ويصبح مدلولها أوسع من ذي قبل، وكذلك تشير إلى معناها أضيق مما كان لها في السابق، ويصبح مدلولها أضيق من ذي قبل. ومعرفة عوامل التطور الدلالي التي تسهم في تغيير المعنى. توصى الدراسة في مجال دلالة ألفاظ القرآن الكريم إلى الاهتمام بالمعاني المتجددة المتطورة للقرآن حسب الاكتشافات العلمية الحديثة ومقارنة هذه المعاني الجديدة مع تفسير القدماء، لأن اجتهاداتهم في مجال تفسير القرآن تعتبر ثروة نفيسة لا يمكن اغفالها ويحتاج إلى كثير من الدراسات العلمية الدقيقة. الكلمات الدالة: تضييق المعنى، توسيع المعنى، التطور الدلالي، عوامل التطور الدلالي.

EXPANDING AND NARROWING THE MEANING IN THE HOLY QUR'AN

Muhammad Quwwatul Islam
Gezira of University Sudan
Email: Muhammad.qislami07@gmail.com

Abstract

This study aims to identify semantic developments in the pronunciation of the Qur'an based on modern linguistic studies, and to find out the views of linguists and commentators both classical and contemporary, regarding the manifestations of semantic development, especially in narrowing and expanding the meaning contained in pronunciation. -recitation of the Qur'an, and knowledge of linguistic phenomena and their factors. This study uses a descriptive analytical approach. The results show that classical and contemporary scholars have clarified the pronunciations in the Qur'an which refer to a broader meaning than in the past, and the connotations are wider than before, and show a narrower meaning than before, and its connotations become narrower than before.

Keywords: meaning narrowing, meaning expansion, semantic development, semantic development factors.

مقدمة

التَّطَوُّرُ سِمَةٌ مِنْ سِمَاتِ الْحَيَاةِ وَمِيزَةٌ مِنْ مِيزَاتِهَا، وَاللُّغَةُ أَحَدُ مَظَاهِرِهَا الَّتِي يَحْدُثُ فِيهَا التَّطَوُّرُ، وَهُوَ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْ حَصُولِهِ فِي اللُّغَةِ، بَلْ يُعَدُّ مِنْ طَبِيعَةِ اللُّغَاتِ وَخَاصَّةً فِطْرِيَّةً فِيهَا وَتَحْدُثُ عِبْرَ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ. وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى التَّطَوُّرِ اللُّغَوِيِّ، التَّغْيِيرُ اللُّغَوِيُّ، وَلِلتَّطَوُّرِ اللُّغَوِيِّ أَسْبَابُهُ وَأَنْوَاعُهُ وَاتِّجَاهَاتُهُ، وَقَدْ ذُكِرَتْ وَبُحِّثَتْ فِي مَظَاهِرِهَا، وَفَضْلًا عَنْ ذَلِكَ لَهُ مَعَايِيرُ وَقَوَاعِدُ تُرَاعَى فِيهِ، وَيَنْطَلِقُ مِنْهَا، فَلَا يَكُونُ هَمَلًا، وَفَوْضَى بِلاَ أَصُولٍ وَأُسُسٍ.

التطور اللغوي العام يسير في خطين أساسيين: التطور الصوتي والتطور الدلالي، والتطور الدلالي له صورٌ ثلاثة:

1. التطور في قواعد تركيب الجمل والعبارات ووظائف الكلمات.
 2. التطور في الأساليب
 3. التطور في معنى الكلمة.
- فالتغير في معنى الكلمة ودلالاتها يُعد مظهرًا من مظاهر التطور الدلالي، وجانبًا من جوانبه، وقد شبه بعض اللغويين تغير المعنى، وانتقاله واكتساب اللفظة معانٍ جديدةً شبهه بالشجرة تتفرغ منها فروغٌ جديدة، وأغصان عدة. ولانتقال الدلالي اتجاهات حددها الباحثون والداليون وهي:
1. انتقال الدلالة من الحسي إلى المعنوي
 2. توسيع الدلالة. أي: الانتقال من المعنى الخاص إلى المعنى العام.
 3. تضيق الدلالة، وهذا الانتقال من المعنى العام إلى الخاص

4. وفي الدلالة، فبعد أن كانت اللفظة تستعمل في المعنى الميتدل أخذت تُستعمل في المعنى الشريف المحترم
5. انحطاط الدلالة، عكس النوع الرابع
6. التحول المجازي، المجاز ينقل الدلالة من معناها الحقيقي إلى معنى آخر جديد
- إن دراسة هذه الظاهرة اللغوية تُوقف دارسها على فوائد جمّة، فيمكن من خلالها " أن نتصور علماءً لسيكولوجية الشعوب يقوم على اختيار التغييرات المختلفة التي تشاهد في اللغات التي يتكلمونها خاصة بالمعنى، وقد تكون هذه الدراسة مضيئة، ولكنها تستحق ما ينفق فيها من عناء، بل من الممكن ألا نخرج منها بنتيجة محددة، وأن نصل في النهاية إلى أن نكشف عند جميع الشعوب اتجاهات سيكولوجية واحدة على وجه التقريب هي ميول العقل الإنساني نفسه، ولكن قد نصل أيضاً إلى إقامة بعض الحدود، وتحديد بعض دقيق الفروق"
- وفي هذا البحث سنرى انتقال الدلالة من معنى عام إلى خاص والعكس على وفق هذا المظهر اللغوي الدلالي في بعض ألفاظ القرآن الكريم نموذجاً.

مشكلة البحث

يمكن تحديد مشكلة البحث في التالية:

- 1- ما هي توسيع وتضييق المعنى؟
- 2- هل وقع توسيع وتضييق المعنى في ألفاظ القرآن الكريم؟
- 3- ما ألفاظ القرآن مترددة التي تحمل معاني مختلفة من معناها الأول؟
- 4- كيف آراء اللغويين والمفسرين في توسيع وتضييق المعنى؟

أهداف البحث

يمكن اجمالها في النقاط التالية:

- 1- التعرف على التطور الدلالي خاصة ظاهرة توسيع وتضييق المعنى
- 2- اكتشاف ألفاظ القرآن الكريم التي تعدد معناها بتوسيع المعنى و تضييقها
- 3- إبراز الصلة الوثيقة بين آراء اللغويين والمفسرين في توسيع وتضييق المعنى لألفاظ القرآن الكريم.
- 4- توضيح أن دراسة المعنى من الموضوعات التي لها العلاقة الكبيرة بين علم اللغة وتفسير آيات القرآن

الدراسات السابقة

بناء على حرص الباحث بقدر الإمكان على الاطلاع والاستفادة مما خطه السابقون، ومع ذلك استطاع الباحث الاطلاع على بعض الدراسات ذات الصلة بغرض الإستفادة منها على الرغم وجود الشبه اليسير بينها:

1. علم اللغة بين القديم والحديث لأستاذنا د. عبد الغفار هلال، أستاذ ورئيس قسم أصول اللغة كلية اللغة العربية بجامعة الأزهار، حقوق النشر والطبع محفوظة للمؤلف، ط: 4 - 1423 هـ 2002 م.
2. محددات المعنى عند المفسرين واللغويين دراسة تطبيقية في القرآن الكريم، إعداد: سليمان يوسف محمد عبدالله، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في تخصص علم اللغة بجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا (2015 م).
3. التعدد الدلالي من خلال ألفاظ القرآن الكريم، إعداد: سعاد إبراهيم محمد عبدالله، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في تخصص علم اللغة بجامعة أفريقيا العالمية (2001 م).

البحث

خواص التطور الدلالي ومناهجه:

- للتطور الدلالي بمختلف أنواعه خواص كثيرة ومن أهم هذه الخواص ما يلي¹:
- 1- أنه يسير ببطء وتدرج، فتغير مدلول الكلمة مثلاً لا يتم بشكل فجائي سريع، بل يستغرق وقتاً طويلاً، ويحدث عادةً في صورة تدريجية.
 - 2- أنه يحدث من تلقاء نفسه بطريق آلي لا دخل فيه للإرادة الإنسانية. مثلاً: سقوط علامات الإعراب في اللهجات العربية الحاضرة، وتغير أوزان الأفعال، وتأنيث بعض الكلمات المذكورة، وتذكير بعض الكلمات المؤنثة، وجمع صفة المثني، وتأخر الإشارة عن المشار إليه، وتزحج كثير من المفردات عن مدلولاتها الأولى إلى معانٍ جديدة.
 - 3- أنه جبري الظواهر؛ لأنه يخضع في سيرة لقوانين صارمة لا يد لأحد على وقفها أو تعويقها، أو تغيير ما تؤدي إليه.

¹ علم اللغة د. علي عبد الواحد وافي - نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. فبراير 2000م، ص 314-317

4- إن الحالة التي تنتقل إليها الدلالة ترتبط غالبًا بالحالة التي انتقلت منها بإحدى العلاقتين اللتين يعتمد عليهما تداعي المعاني، ونعني بهما علاقتي المجاورة والمشابهة.

5- أن التطور الدلالي في غالب أحواله مقيد بالزمان والمكان، فمعظم ظواهره يقتصر أثرها على بيئة معينة وعصر خاص.

6- أنه إذا حدث في بيئته ما ظهر أثره عند جميع الأفراد الذين تشملهم هذه البيئة، فسقوط علامات الإعراب في لغة المحادثة المصرية مثلاً لم يفلت من أثره أي فرد من المصريين.

ومن هذه الخواص يتبين فساد كثير من النظريات القديمة بصدد هذا التطور. فليس بصحيح ما ذهب إليه بعض العلماء من أن هذا التطور يحدث نتيجة لأعمال فردية اختيارية يقوم بها بعض الأفراد وتنتشر عن طريق المحاكاة.

عوامل التطور الدلالي:

عُرض في البحث السابق لطائفة كبيرة من عوامل التطور في القواعد والأساليب، وأشرنا في شيء من التفصيل إلى مختلف آثارها في كثير من اللغات الإنسانية، وهو التطور في معاني الكلمات، ولذلك سنقصر عليها دراستنا في هذه الفقرة.

لهذا النوع من التطور عوامل كثيرة، من أهمها الطوائف الآتية²:

1- عوامل تتعلق باستخدام الكلمات، فمدلول الكلمة يتغير تبعًا للحالات التي يكثر فيها استخدامها.
2- عوامل تتعلق بمبلغ وضوح الكلمة في الذهن، فكلما كان مدلول الكلمة واضحًا في الأذهان قلَّ تعرضه للتغير.

3- عوامل تتعلق بأصوات الكلمة؛ فثبات أصوات الكلمة يساعد على ثبات معناها، وتغيرها يذلُّ أحيانًا السبيل إلى تغييره، وذلك أن في الذهن ما دامت محتفظة بصورتها الصوتية، وقوة هذه الصلة تساعد على ثبات مدلولها.

4- عوامل تتعلق بالقواعد، فقد تذلل قواعد اللغة نفسها السبيل إلى تغير مدلول الكلمة، وتساعد على توجيهه وجهة خاصة، فتذكير كلمة "ولد" مثلاً في العربية "ولد صغير" قد جعل معناها يرتبط في الذهن بالمدكر.

² علم اللغة بين القديم والحديث لأستاذنا د. عبد الغفار هلال، ط: 4 - 1423 هـ 2002 م. ص 212.

5- عوامل تتعلق بانتقال اللغة من السلف إلى الخلف، فكثيراً ما ينجم عن هذا الانتقال تغير في معاني المفردات، وذلك أن الجيل اللاحق لا يفهم جميع الكلمات على الوجه الذي يفهمها عليه الجيل السابق.

6- عوامل تتعلق على أثر انتقالها من لغة إلى لغة؛ فقد يخصص مدلولها العام، وتقتصر على بعض ما كانت عليه في لغتها الأصلية، وقد يعمم مدلولها الخاص، وقد تستعمل في غير ما وضعت له لعلاقة ما بين المعنيين.

7- وقد يكون العامل في تغير معنى الكلمة أن الشيء نفسه الذي تدل عليه قد تغيرت طبيعته أو عناصره أو وظائفه أو الشؤون الاجتماعية المتصلة به وما إلى ذلك، فكلمة القطار كان يطلق في الأصل على عدد من الإبل على نسق واحد تستخدم في السفر، ولكن تغير الآن مدلوله الأصلي تبعاً لتطور وسائل المواصلات، فأصبح يطلق على مجموعة عربات تقطرها قاطرة بخارية، و"البريد" كان يطلق على الدابة التي تحمل عليها الرسائل، ثم تغير الآن مدلوله تبعاً لتطور الطرق المستخدمة في إيصال الرسائل، فأصبح يطلق على النظم والوسائل المتخذة لهذه الغاية في العصر الحاضر.

8- عوامل تتعلق باختلاف الطبقات والجماعات، فكثيراً ما ينجم عن اختلاف الناس في طبقاتهم وفتاتهم اختلاف مدلول الكلمات وخروجها عن معانيها الأولى، ويؤدي إلى ذلك ما يوجد بين الجماعات الناطقة باللغة الواحدة من فروق في الخواص الشخصية والجسمية والنفسية، وفي شؤون السياسة والاجتماع والثقافة والتربية ومناحي التفكير والوجدان ومستوى المعيشة وحياة الأسرة والتقاليد والعادات، وفي الظروف الطبيعية والجغرافية المحيطة بكل جماعة منها، وما تزواله كل طبقة من أعمال.

مظاهر التطور الدلالي (تضييق الدلالة وتوسيعها)

أ- تضييق الدلالة

ويقصد به تخصيص مجال دلالة الكلمة، ويحدث هذا بإضافة بعض الملامح الدلالية المميزة للكلمة، وهذا المظهر كثير الشيوع في اللغات، يحدث هذا النوع من التغير الدلالي عند ما تخصص ألفاظ كان كل منها يستعمل للدلالة على طبقة عامة من الأشياء، فيدل كل منها على حالة أو حالات خاصة، وهكذا يضيق مجال الأفراد الذي كانت تصرف عليه أولاً³. وقد ذكر الزنجشيري هذا التضييق حيث قال: "نقول ما حضرت المأتم وإنما حضرت والمأتم وهو جماعة النساء. وقد غلب على

³ علم اللغة - مقدمة للقارئ العربي - محمود السعدان - دار النهضة، القاهرة (2007) ص 283

اجتماعهن في المصائب⁴. وجاء في اللسان: "المأتم في الأصل مجتمع الرجال والنساء في الغم والفرح ثم حُص به اجتماع النساء للموت⁵. ويقول الدكتور مختار عمر: "ويمكن تفسير التضييق بعكس ما فُسر به توسيع المعنى، فقد كان التوسع نتيجة اسقاط لبعض الملامح التمييزية للفظ⁶.

وفي مقابل هؤلاء العلماء الذين أقروا بوقوع التضييق في دلالة هذا اللفظ وتقبلوها كالأصمعي والزمخشري وغيرهما، كان بعض اللغويين قد أنكروا ذلك وتمسكوا بدلالة اللفظ القديمة وعزّ عليهم أن يتقبلوا وقوع التضييق فيها.

ومن هؤلاء الحريري (ت 516 هـ) الذي اعتبر هذا التضييق من أوهام الخواص فقال: "ونقيض لفظ البشارة لفظة المأتم، يتوهم أكثر الخاصة أنها مجمع المناحة، وهي عند العرب النساء يجتمعن في الخير وفي الشر"⁷.

وهذا الذي عده الحريري من أوهام الخواص، يعده الدارس اللغوي من باب التغير المشروع في دلالة اللفظ خاصة إذا كان له نظائر فصيحة في كلام الناطقين باللغة. أما علماء اللفظ المحدثين فقد أقروا به وخصصوا له ابواباً واسعة في مجال الدراسات اللغوية وبخاصة في علم الدلالة ويتحدث د. أنيس عن السبب في لجوء الناطقين باللغة العربية إلى هذا النوع عن التغير الدلالي فيقول: "وهم القصور في الذهن أحياناً، أو بسبب الكسل والتماس أيسر السبل حيناً آخر يعمدون إلى بعض تلك الدلالات العامة ويستعملوها استعمالاً خاصاً، ولا يتردد الفرد العادي في هذا الصنيع متى وثق أن كلامه سيكون مفهوماً، وأنه سيحقق الغرض أو الهدف من النطق. فإذا قدر لمثل هذا الاستعمال في الدلالة أن يشيع ويذيع بين جمهور الناس رأينا اللفظ تتطور دلالاته من العموم إلى الخصوص ويضيق مجالها وتقصر على خاصة منها⁸.

تحدث الفلاسفة والمناطق عن دلالاته اللفظ، ويسمونها بالدلالة العامة لأنها تنطبق على كل فرد من طائفة كبيرة، ويصفون اللفظ حينئذ بأنه (كلى) مثل كلمة (شجرة) التي تطلق على كل ما في الكون من الأشجار. فإذا تخصص، فقلنا (شجرة البرتقال) تستبعد آلاف الأشجار، فهي لذلك أحد

⁴ أساس البلاغة - الزمخشري - (أتم) - دار الكتب العلمية، بيروت. ص 2

⁵ لسان العرب لابن منظور - دار المعارف، بيروت. مادة أتم.

⁶ علم الدلالة - دز مختار عمر - عالم الكتب، القاهرة (1998) ص 246

⁷ درة الغواص في أوهام الخواص - محمد أبو الفضل إبراهيم - دار النهضة - مصر 1975م - ص 191

⁸ دلالة الألفاظ - د. إبراهيم أنيس - مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة (1976) ص 154.

في دلالتها من كلمة (شجرة) وقولنا (شجرة البرتقال المصرية) أحد في الدلالة من شجرة البرتقال، وقولنا (شجر البرتقال في حديقتنا) يصل بالدلالة الى أضيق الحدود، وتكاد تكون الدلالة هنا كالدلالة في الاعلام و أسماء الأشخاص محمد وعلى واحمد ونحو ذلك.

والألفاظ في معظم اللغات البشرية تنذبذت دلالتها بين أقصى العموم كما في الكليات وأقصى الخصوص كما في الاعلام. فهناك درجات من العموم وهناك درجات من الخصوص، وهناك حالات وسط، وإدراك الدلالة الخاصة أو الشبيهة بالخاصة أيسر من إدراك الدلالة الكلية، التي يقل التعامل بها في الحياة العامة فالفلاسفة واصحاب العقول الكبيرة هم وحدهم المشغوفون بتلك الألفاظ الكلية في تفكيرهم وتأملاتهم⁹.

وتضييق الدلالة يصيب كثيرا من الفاظ اللغات في العالم. فكلمة (meat) التي تعني الآن في اللغة الانجليزية (اللحم) كانت دلالتها فيما مضى أعم، إذ كانت تعني مجرد (الطعام)، وكلمة (hound) التي تعني الآن في تلك اللغة نوعا خاصا من الكلاب، كانت فيما مضى تعبر عن أي كلب. وكذلك الحال في لهجات الخطاب عندنا إذ تخصص كلمة (الحريم) فبعد ان تطلق على كل محرم لابس، أصبحت الآن تطلق على (النساء)، وكذلك كلمة (العيش) حين تطلق على (الخبز)¹⁰.

نماذج لتضييق الدلالة من القرآن الكريم

قال د. محمد الانطاكي "التضييق هو الانتقال باللفظ من معنى عام واسع الى معنى أخص منه وأضيق، وذلك كالتضييق الذي حدث لكلمات (الصلاة) و (الصوم) و (الزكاة) فالصلاة كانت تعني كل صلة بين العبد وربّه في حركات معلومة مخصوصة، وكذا الصوم الذي كان يعني الانقطاع عن كل شيء ثم خصص للانقطاع عن الطعام والشراب والنكاح في أوقات مخصوصة. والحج كان يعني القصد عامة والى كل مكان ثم خصص لزيارة مناسك مخصوصة في أوقات مخصوصة، أما الزكاة فكانت تعني النماء عامة، وأصبحت تعني ضريبة معلومة من المال إذا حال عليه الحول، وكان الوضوء يعني النظافة عامة ثم خصص لأصبح لايعني إلا غسل أعضاء مخصوصة¹¹ الخ.

⁹ المرجع السابق - ص 158

¹⁰ نفس المرجع - ص 152-153 - وانظر علم اللغة د. علي عبد الواحد وافى - نهضة مصر، ص 241

¹¹ الوجيز في فقه اللغة - محمد الأنطاكي - ط2 - حمار الشرف - ص 471.

وقال د. أحمد حسن الباقوري: "يراد بالألفاظ الإسلامية تلك التي توسع في دلالتها لتتسع للمعاني التي حدثت عن القرآن" ويورد بعض الألفاظ يقول: "فمن ذلك لفظ المؤمن، كان يعرف الإيمان بمعنى التصديق مطلقاً، والكافر، من الكفر بمعنى الستر والفسق لم يكن يعرف إلا من الفسق، بمعنى خروج الرطوبة من قشرتها. والصلاة بمعنى الدعاء، والزكاة بمعنى النماء، والصوم أصله الإمساك مطلقاً، والحج وأصله القصاص كذلك، وغير ذلك كثير"¹².

أما في كتاب معاني القرآن للزجاج فقد جاء:

صلاة: في قوله تعالى [أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ] ¹³ الصلاة في اللغة على ضربين: أحدهما الركوع والسجود، والآخر الرحمة والثناء والدعاء، فصلاة الناس على الميت إنما معناها الدعاء للميت بالرحمة والثناء على الله تعالى، والصلاة من الله عز وجل وصل على أنبيائه وعباده معناها الرحمة لهم والثناء عليهم وصلاتنا الركوع والسجود"¹⁴

كما جاء في لفظ (الصوم)¹⁵ وأصل الصيام: الثبوت والإمساك عن الطعام.

وفي لفظ (فسق)¹⁶: فسق، يفسق في قوله تعالى [بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ] ¹⁷ ويفسق على اللغتين بالضم والفتح، ومعنى الفسق الخروج عن القصد والحق وكل ما خرج عن شيء فقد فسق إلا أنه حُص من خرج عن أمر ربه قيل فاسق، ولم يحتج إلى أن يقال فسق عن كذا. كما أنه يقال لكل من صدق بشيء هو مؤمن ويقال للمصدق بأمر الله مؤمن فيكفي، والعرب تقول فسقت الرطوبة إذا خرجت عن قشرتها ¹⁸. ولفظ (الرفث)¹⁹ في قوله تعالى [أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةَ الصَّيِّمِ الرَّفَثِ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ] ²⁰ الرفث كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من المرأة والمعنى هنا كناية عن الجماع، أي أحل لكم ليلة الصيام الجماع لأنه كان في أول

¹² أثر القرآن الكريم في اللغة العربية - أحمد حسن الباقوري - دار المعارف، القاهرة. ص 60.

¹³ البقرة 157

¹⁴ معاني القرآن للزجاج ابي إسحاق إبراهيم ابن السرى - شرح وتحقيق د. عبد الجليل عبده سليمان - الناشر عالم

الكتب ط 1 - 1408 هـ - 1988 م - ص 231

¹⁵ نفس المرجع - ص 232

¹⁶ مختار الصحاح - الرازي - تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت (1999) مادة فسق

¹⁷ البقرة 59

¹⁸ البقرة 187

¹⁹ مختار الصحاح - الرازي - مادة رفث

²⁰ البقرة 187

فرض الصيام محرماً في ليلة الصيام، وكذلك الأكل والشرب بعد العشاء الأخيرة فأحل الله الجماع والأكل والشرب إلى وقت طلوع الفجر.

ولفظ الغائط²¹: الغائط: المتسع من الأرض، وجمعه، أغواط، ويقال للأرض الواسعة الدَّعْوَةُ غائط، لأنه غاط فيها، والغوط: عمق الأرض الأبعاد، ومنه قيل للمطمئن من الأرض غائط ولموضع قضاء الحاجة غائط، لأن العادة أن يقض في المنخفض من الأرض حيث هو أستر له، والغائط اسم العذرة نفسها لأنهم كانوا يلقونها بالغيطان. وقيل لأنهم كانوا إذا أرادوا ذلك، أتوا الغائط وقضوا حاجتهم، فقيل لكل من قضى حاجته: قد أتى الغائط يكنى به عن القدرة، وفي التنزيل العزيز [أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ] ²² إذا كان الرجل إذا أراد التبرز ارتاد غائطاً من الأرض يغيب فيه عن أعين الناس ثم قيل للبراز نفسه كناية عنه. وهنا تتجلي البلاغة في أدب القرآن الكريم وتهذيب ألفاظه حين يلجأ إلى الكناية، وهو ما يسمى في علم الدلالة (باللامساس) أو المحظورات اللغوية.

وأورد د. محمد المبارك أيضاً بعض الألفاظ التي تخصصت دلالتها كما يأتي:

لفظ الفشل²³ بمعنى الضعف والناس يستعملونها بمعنى الإحفاق وضده النجاح في قوله تعالى، [وَلَا تَنْزَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ] ²⁴ واستشهدهم بهذه الآية في مواطن التنازع المؤدى إلى الإحفاق جعلهم يظنون أن معنى الفشل هو الإحفاق وهو خطأ، ومثلها امتاز²⁵ ومعناها انفصل، وجاء في قوله تعالى [وَأَمَّا تِلْكَ الْأُمَّةَ أَلْمِزُوا أَلَيْسَ الْيَوْمَ آيَّهَا الْمُجْرِمُونَ] ²⁶ إذ كانت تستعمل كثيراً في مواطن التمييز بالفضل والرجحان وإن لم يكن في أصل اللغة لكنه لا ينافيه، بل هو نوع من التضييق.

كذلك لفظ التيمم²⁷، كما ورد في مختار الصحاح (بممه) قصده تيمم الصعيد للصلاة وأصله التعمد والتوضي عن قولهم تيممه وتأممه. قال ابن السكينة: في قوله تعالى [فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً] ²⁸، أي

²¹ لسان العرب - ابن منظور - مادة غوط .

²² النساء 43

²³ فقه اللغة وخصائص العربية - د. محمد المبارك - دار الفكر للطباعة والنشر، ص 333- وانظر المختار الصحاح-

مادة فشل

²⁴ الأنفل 46

²⁵ فقه اللغة وخصائص العربية - د. محمد المبارك، ص 335- وانظر مختار الصحاح- مادة ميز

²⁶ يس 59

²⁷ مختار الصحاح- الرازي- مادة بمم

اقصدوا لصعيد الطيب، ثم كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى صار (التيمم) مسح الوجه واليدين بالتراب. و (بعم) المريض فتيمم للصلاة.

وكذلك لفظ (نفق)²⁹، نفقت الدابة: ماتت، ونفق البيع ينفق بالضم (نفاقاً) راج. والنفاق بالكسر فعل المنافق. و(انفق) الرجل افتقر وذهب ماله ومنه قوله تعالى [ذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ] ³⁰.

قلت إذا لفظ النفاق يعتبر لفظاً خصص لدلالته لفعل المنافق وهي من استعمالات الاسلامية التي تعني الشخص الذي يظهر الاسلام ويبطن الكفر. ومثل هذا اللفظ قوله تعالى ﴿وَمَنْ حَوَّلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمَنْ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ١٠١﴾ ³¹

ولفظ (الجهاد)³²، الجهد بفتح الجيم وضمها الطاقة، والجهد بالفتح المشقة، وجهد الرجل في كذا أي جدّ فيه وبالغ، وجاهد في سبيل الله (مجاهدة) و (اجتهادا) و (الاجتهاد) و(التجاهد) بذل الوسع. هكذا ورد اللفظ في مختار الصحاح أي أن دلالاته خصصت. وليتضح ذلك سأقوم بعرض هذه الألفاظ موضحة معناها الأصلي ثم المعنى الذي انتقلت إليه:

- الصلاة من الصلوتين وهما مكتنفا اللحم من الناقة وغيرها وأول موصل الفخذين من الانسان والصلاة عامة كانت تعني كل صلة بين اثنين ثم خصصت للصلة بين العبد وربّه.
- الصوم: كان يعني مطلق الامسك، ثم خصص للإمسك عن الطعام والشراب والنكاح في أوقات مخصوصة.
- الحج: كان يعني القصد عامة وإلى كل مكان ثم خصص لزيارة مناسك مخصوصة في أوقات مخصوصة.
- الزكاة: كانت تعني النماء عامة، ثم خصصت واصبحت تعني ضريبة معلومة من المال حال عليها الحول.
- الوضوء: كان يعني النظافة عامة، ثم خصص فأصبح يعني غسل اعضاء مخصوصة وبطريقة مخصوصة للطهارة للصلاة.

28 المائة 6

29 مختار الصحاح- الرازي - مادة نفق

30 الإسرائ 100

31 التوبة 101

32 مختار الصحاح- الرازي - مادة جهد

- المؤمن: الإيمان كان يعني التصديق مطلقاً، ثم خصص للشخص الذي آمن وصدق وعمل برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والالتزام بأحكام الإسلام.
- كافر: الكفر بمعنى الستر، ثم خصص للذي كفر برسالة النبي عليه الصلاة والسلام
- الفاسق: الفسق: كان يعرف بخروج الرطبة عن قشرتها ثم خصص للخارج عن دين محمد صلى الله عليه وسلم أو الخارج عن أحكام الدين.
- الغائط: كان يعني المنخفض من الأرض، ثم خصص لفضلات الإنسان نفسها.
- الفشل: كان يعني الجبان الضعيف، ثم خصص لمعنى الاخفاق.
- امتاز: كان معناها الفصل ثم خصص اللفظ ليدل على التمييز والرجحان.
- التيمم: أصله التعبد والتوخي وقصد الصعيد الطيب، ثم خصص لمسح الوجه والبدن بالتراب.
- النفاق: نفق: مات، ونفق: راج، ثم خصص اللفظ ليدل على فعل المنافق وهو الشخص الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر.
- الجهاد: الطاقة والمشقة، ثم خصص اللفظ للحرب في سبيل الله وإعلاء كلمة الحق.

ب- توسيع الدلالة

يقصد به تعميم معنى الكلمة، وذلك بنقله من معنى خاص ضيق إلى معنى عام أوسع وأشمل، ويحدث هذا بإسقاط بعض الملامح الدلالية للكلمة، فكلمة "أب" حين تطلق على كل رجل، يسقط عنها ملمح القرابة، ويبقى ملمح الذكورة والبلوغ، وتعميم الدلالات أقل شيوعاً في اللغات من تخصيصها، وأقل أثراً في تطور الدلالات وتغيرها.

كما يصيب التضييق دلالة بعض الألفاظ قد يصيب التوسيع البعض الآخر، غير أن توسيع الدلالات أقل شيوعاً في اللغات، وأقل أثراً في تطور الدلالات وتغيرها ويشبه توسيع الدلالات لاحظناه لدى الأطفال حين يطلقون اسم الشيء على كل مايشبهه لأدنى ملابسة أو مماثلة، وذلك لقصور حصولهم اللغوي و قلة تجاربهم مع الألفاظ، فقد يطلق الطفل لفظ (الأب) على كل رجل يشبه أباه في زيه أو قامته أو لحيته أو شاربه، وقد يطلق لفظ الأم على كل امرأة تشبه أمه في ثيابها وشعرها. وقد يسمى كل طائر (دجاجة) أو كل حيوان كبير (حصان) و (حمار).

وكذلك الناس في حياتهم العادية يكتفون بالقدر التقريبي الذي يحقق هدفهم من الكلام أو التخاطب. ولايكاد يحرصون على الدلالة الدقيقة المحددة التي تشبه المصطلح العلمي، وهم لذلك ينتقلون بالدلالة الماسية الى الدلالة العامة.

ومن هذا التوسيع أن كلمة (بأس) في أصل معناها كانت خاصة بالحرب، ثم أصبحت تطلق على كل شدة، وأن الناس في خطابهم الآن يطلقون كلمة (ورد) على زهر، وكلمة (بحر) على النهر والبحر، ومن هذا التوسيع أيضا تحويل الأعلام إلى صفات، فالعلم (قيصر) قد يطلق ويراد منه العظيم الطاغية. و (نيرون) الظالم أو المجنون و (حاتم) (الكريم المضيف) و(عرقوب) المخادع القليل الوفاء³³. كما يشبه هذا اطلاق أهل الأندلس في القرن الرابع الهجري، كلمة (البلاط) على البيت المحصن البناء، وهي في الأصل للحجارة المفروشة بالأرض و جعلهم كلمة (استحمام) الاغتسال بالماء مطلقا حارا كان أم بارد، وهي في الاصل الاغتسال بالماء الحوم أى الحار. ومن ذلك استعمال الناس كلمة القافلة لجماعة الركاب مطلقا راحلة كانت أم قادمة، وهي في الأصل للرفقة الراجعة من الفعل قفل: بمعنى رجع³⁴.

نماذج التوسيع الدلالة من القرآن الكريم

لفظ تعال

قال د. رمضان عبد التواب: "من ذلك استعمال تعال للأمر بالحيء مطلقا، وأصلها للأمر لمن كان في أسفل أن يأتي محلا مرتفعا، ثم استعملت المطلق المجيء، قال الفراء: "أصلها عال البناء، وهو من العلو، ثم ذكر أن العرب لكثرة استعمالهم إياه صارت عندهم بمنزلة: هلم حتى استجازوا أن يقولوا للرجل وهو فوق شرف: تعال، أي اهبط، وإنما أصلها الصعود"³⁵.

وفي لسان العرب: العلو: ارتفاع أصل البناء.

وقالوا في النداء: تعال أي اعلّ ولا يستعمل في غير الأمر والتعالى الارتفاع، تقول العرب في النداء للرجل تعال، وللأنثى والذكر تعاليا، وللرجال، تعالوا والمرأة تعالي، وللنساء تعالين، ولا يبالون أن يكون المدعو في مكان اعلى من مكان الداعي أو مكان دونه، ولا يجوز أن يقال منه تعاليت ولا ينهي عنه³⁶.

وفي القرآن الكريم ورد اللفظ في قوله تعالى [إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ]³⁷ فاللفظ بمعنى اقبلن وهو للنداء مطلقا³⁸.

³³ دلالة الألفاظ- ابراهيم أنيس- ص 154-155

³⁴ التطور الدلالي - مظاهره وعمله- رمضان عبد التواب- مكتبة الخانجي، القاهرة. ص 118

³⁵ نفس المرجع- ص 118

³⁶ لسان العرب- لابن منظور- مادة علو

³⁷ الأحزاب 28

ومن هنا يتضح توسيع اللفظ الذي كان يستعمل للأمر لمن كان عال ان يهبط ويجيء الى أسفل، وأصبح يطلق المجرد المجيء.

لفظ ذنوب

قال الدكتور عبد الكريم محمد حسن: "وأما لفظ ذنوب وقد ورد في قول ثعلبة بن عمرو في شأن مهرة:

خلا أنهم كلما أوردوا مبعض صبغًا عليه ذنوب³⁹

وجاء في شرحه: الذنوب: الدلو.

وقال الأصمعي: "ثم كثر الذكر للذنوب حتى جعل نصيبا وهو من قول الله تعالى [فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ]⁴⁰ يعني نصيبا من العذاب.

وبيت علقمة العبدي:

وفي كل حي قد حبطت بنعمة فحق الناس من نذاك ذنوب

أي نصيب.

فقد قدر الأصمعي أن لفظ الذنوب كان يدل على الدلو ثم عمم وأطلق على النصيب. ويمكننا أن نفهم هذا التوسيع في ضوء معرفتنا بأن العرب كانت تستعمل الذنوبية في تقسيم مياه الآبار وغيرها حين تجتمع عليها فيتنافس فيها، أي أن الذنوب "الدلو" كان يمثل حظا أو نصيب من الماء لأخذه، ثم كثر استعمال العرب له في معنى الحظ والنصيب كما قدر الأصمعي، واستأثر هذا الملمح باهتمام الاستعمال اللغوي⁴¹.

وفي لسان العرب: الذنب⁴² الإثم والجرم والمعصية، والجمع ذنوب وذنوبات جمع الجمع، وقد أذنب الرجل، وقوله عز وجل في مناجاة موسى عليه السلام [وَلَهُمْ عَلَيَّ ذُنُوبٌ]⁴³، فعني بالذنب قتل الرجل الذي وكزه موسى عليه السلام فقضى عليه، وكان ذلك الرجل من آل فرعون.

³⁸ معجم ألفاظ القرآن الكريم - مجمع اللغة العربية بالقاهرة - مادة علو

³⁹ شرح المفصليات للأصمعي - ص 2 - وبيت علقمة التي في ص 786

⁴⁰ الذاريات 59

⁴¹ في علم الدلالة - د. عبد الكريم محمد حسن - دار المعرفة الجامعية، القاهرة (1997) ص 237

⁴² لسان العرب - لابن منظور - مادة ذنب - وانظر معجم ألفاظ القرآن الكريم - مادة ذنب

⁴³ الشعراء 14

وفي معجم ألفاظ القرآن ذنب وأذنب: ارتكب ذنبا، والذنب: الاثم، وهم المحرم من الأعمال، والجمع ذنوب، والذنوب: والحظ والنصيب، واصله الدلو المملوء بالماء وكان السقاؤون يقسمون بها الماء، فيكون لكل ذنب فجعل الذنب مكان الحظ والنصيب.

ومن هنا يتضح أن لفظ ذنب قد تطورت دلالاته فبعد أن كان يعني الحظ والنصيب، أصبح في القرآن الكريم يعني الإثم والجرم والمعصية كما في قوله تعالى [رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا]⁴⁴ أي اغفر لنا آثامنا وسيئاتنا. فعمم اللفظ ليعني كل معصية وسيئة أو كل محرم من الأعمال والأفعال والأقوال.

لفظ البأس

ففي لسان العرب⁴⁵: البأس: العذاب، والبأس الشدة في الحرب، وفي المخصص: البأس الحرب حتى قيل لا بأس عليك. ولا بأس أي لا خوف. فالبأس: الشدة والفقر، وبئس الرجل يئس، وبأسا وبئيس إذا افتقر واشتدت حاجته، فهو بأس أي فقير، وقوله تعالى [وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبِئْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّحُونَ]⁴⁶.

وفي عمدة الحفاظ: بأس⁴⁷ البأساء والبؤس، كلها الشدة والمكروه وقد فرّق بعضهم بين هذه بفروق، فالبأس في الفقر والجذب أكثر وقوله تعالى [عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا]⁴⁸ أي شدتهم في الحرب، وقوله تعالى [وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ]⁴⁹ أي امتناع وقوة، وقوله تعالى [تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ]⁵⁰ وقوله تعالى [لَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ]⁵¹ أي لا تحزن

44 الشعراء 148

45 لسان العرب - لابن منظور - مادة بئس - وانظر المخصص لابن سيده - مادة بئس

46 الأعراف 94

47 عمدة الحفاظ في شرح أشرف الألفاظ - السميني - تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت

(م 1996) مادة بئس

48 النساء 84

49 الحديد 25

50 النحل 81

51 هود 36

ولاتضعف، وبمعنى العذاب في قوله تعالى [فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَّةُ] 52 أي عذابنا، وهي بمعنى القتال في قوله تعالى [وَالصُّبْرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاةِ وَحِينَ الْبَأْسِ] 53 أي الشدة. وفي مختار الصحاح: البأس 54 هو العذاب وهو أيضا الشدة في الحرب، ورجل بئيس: أي شديد، وعذاب بئيس: شديد، وبئس كلمة ذم وهو ضد نعم.

ومن الواضح أن كلمة البأس قد تطورت دلالتها من التضييق الى التوسيع، وبعد أن كانت تعني الحرب كما يقول اللغويون أصبحت تطلق على كل شدة، وهي كذلك في القرآن الكريم إذ جاءت بمعنى الحرب في بعض الآيات، ولكنها جاءت أيضا بمعنى الشدة في كثير من الآيات، وهذا هو التطور الذي قصده في هذا المبحث.

الخاتمة

يكمن استخلاص البحث في النقاط التالية:

1. من طبيعة اللغات تحدث فيها التطور والتغير عبر الزمان والمكان
2. توسيع المعنى وهو انتقال معنى الكلمة من خاص إلى عام، فتشير إلى معنى أكبر مما كان لها في السابق، ويصبح مدلولها أوسع من ذي قبل، ويكون المعنى السابق أخص من المعنى الحاضر
3. تضييق المعنى وهو تحويل دلالة الكلمة من المعنى الكلي إلى المعنى الجزئي أو تضييق مجالها، أي تحديد معاني الكلمات، وتقليلها، وتضييقها.
4. أكد البحث ظاهرة الانتقال الدلالي (توسيع وتضييق المعنى) للألفاظ من القرآن الكريم.
5. كان للسياق دور كبير في إبراز دلالة لفظ ما وترجيح معناه المقصود متمثل بالألفاظ الموجودة كما قد ذكر
6. موضوع (تغير المعنى) موضوع وصفي، يقرأ ظاهرة لغوية في زمن أو زمنين؛ ليرى مدى ثبات دلالة الألفاظ أو تغيرها، ولا يسعى أن يصدر حكماً معيارياً بالتصويب أو التخطئة، فهو لا يحكم بأن الاستعمال القديم صحيح، أو أن الاستعمال الحاضر خطأ.

52 غافر 84

53 البقرة 177

54 مختار الصحاح - مادة بئس

فهرس المصادر والمراجع

- Adnān al-Khatīb. *Al-Mu'jam Al-'Arabī Baina Al-Māḍī Wa Al-Ḥāḍir*. Al-Ṭab'ah 1 Bairūt Maktabah Libnān 1994
- Aḥmad Ḥasan al-Bāqūrī. *Aṣar l-Qur'ān al-Karīm Fī al-lughah al-'Arabiyyah*. Al-qāhirah Dār Al-Ma'ārif
- Jabrān Mas'ūd. *Al-Rā'id Fī Al-Mu'jam Al-Lugawī Al-'Aṣrī*. Bairūt Dār Al-'Ilm 1987
- Ibrāhīm Anīs. *Dilālah Al-Alfāz*. Al-qāhirah Maktabah Anjalu Miṣriyyah 1976
- Ibnu Manzūr Jamāl al-dīn Muḥammad Bin Mukrim. *Lisān Al-'Arab*. Juz 1-10 Bairūt Dār Šādir
- Maḥmūd Al-Sa'dān. *ʿIlm Al-Lughah Muqaddimah Al-'Arabī*. Al-qāhirah, Dār al-Nahḍah. 2007
- Muḥammad Abū Al-Faḍl Ibrāhīm. *Durrah Al-Gawāṣ Fī Auhām Al-Khawās*, Miṣr Dār Al-Nahḍah 1975.
- Majma' al-Lughah al-'Arabiyyah. *Mu'jam al-Fāz Al-qur'ān al-Karīm*. Juz Awwal Wa al-Šānī. Al-Qāhirah: Al-Hai'ah al-Miṣriyyah al-'Āmmah Lī al-Ta'līf Wa al-Nasyr
- Mukhtār 'Umar. *ʿIlm Al-Dilālah*. Al-Qāhirah 'Ālam Al-Kutub 1997
- al-Mubārak. *Fiqh Al-Lughah Wa Khaṣā'is Al-'Arabiyyah*. Bairūt Dār Al-Fikr Li al-ṭibā'ah Wa Al-Nasyr. 2002
- Ramaḍān Abdu al-Tawab. *Al-Taṭawwur Al-Dilālī Mazāhiruhu Wa 'Ilaluhu*. Al-Qāhirah Maktabah Al Khānijī
- al-Rāzī. *Mukhtar al-ṣihhah*. (Taḥqīq Yūsuf Al-Syaikh Muḥammad). Bairūt al-Maktabah al-'Aṣriyyah 1999
- al-Samīn Al-Ḥalbī Aḥmad Bin Yūsuf. *ʿUmdah Al-Ḥuffāz Fī Tafṣīr Asyrafī Al-Alfāz*. Bairūt Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah
- al-Zamasykarī. *Asas al-Balāghah*. Bairūt, Dār Al-Kutub Al-'Ilmiyyah.
- al-Zujaj Abī Ishāq Ibrāhīm Bin Al-Sarī. *Ma'āni Al-Qur'ān Li Al-Zujaj*. Syarḥ Wa Taḥqīq Dr. Abdu al-Jalīl Abduh Sulaimān. Al-Qāhirah 'ālam Al-Kutub 1408.